باب الجغرافيا:

الزحف العمراني وتأثيره على الأراضي الزراعية في عكار (السهل الأوسط أنموذجاً)

Urban Sprawl and Its Impact on Agricultural Land in Akkar (Middle plain as a model)

بقلم الدكتور أحمد فيصل حمزة

دكتوراه في الجغرافيا البشرية من الجامعة اللبنانية

Dr. Ahmad Faysal Hamza

Lebanese University PhD in Human Geography

ahmadfaycalhamzeh@hotmail.com

تاريخ الاستلام:12/5/ 2023 تاريخ القبول: 28/5/ 2023

ملخص البحث .

تضم منطقة الدراسة القسم الأوسط من سهل عكار ، التي تمتد من مجرى نهر اسطوان من الشمال الشرقي حتى مجرى نهر عرقا من الجنوب الغربي ، ومن الاوتوستراد الذي يخترق أطراف سهل عكار من الشرق (طريق حلبا – الكويخات) حتى الطريق الدولية (طرابلس – حمص) غرباً .

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على النمو العمراني ومعرفة استخدامات الأرض في سهل عكار ، والتعرف على أبرز التغيرات والتحولات الاجتماعية والبيئية في هذه المنطقة .

شملت هذه الدراسة واقع الزحف العمراني وأثره على الأراضي الزراعية في سهل عكار ، فتناول البحث أولاً الواقع الاجتماعي للسكان الجدد وفترات النزوح ، والاماكن التي نزحوا منها وجنسياتهم (لبنانيون أو سوريون) والدوافع التي حملتهم إلى ترك مواطنهم الأصلية والتوجه الى أرض السهل ، وثانياً الواقع الخدماتي: المتعلق بأمور

عدة منها مستوى الخدمات الأساسية (البنى التحتية – المياه – معالجة مياه الصرف الصحي – النفايات المنزلية .....) فكل ذلك كان له أثر بالغ على البيئة والأراضي الزراعية الذي أدى بدوره إلى تراجع الإنتاج الزراعي ، وأحدث تبدلاً في نمطه واختفاء بعض الأنواع من الزراعات كالقمح والفول السوداني والسمسم ..... لصالح الاستثمار في العقارات والأبنية السكنية والتجارية التي غزت أرض السهل في عكار .

Summary of the research

The study area includes the middle section of the Akkar Plain, which extends from the course of the Cytoon River from the northeast to the course of the Arqa River from the southwest, and from the highway that penetrates the outskirts of the Akkar Plain from the east (Halba Road - Al-Kuwaikhat) to the International Road (Tripoli - Homs).

This study aims to shed light on urban growth and knowledge of land uses in the Akkar Plain, and to identify the most prominent social and environmental changes and transformations in this region.

This study included the reality of urban sprawl and its impact on agricultural land in the Akkar Plain. The research dealt first with the social reality of the new population and the periods of displacement, the places from which they were displaced, their nationalities (Lebanese or Syrians) and the motives that led them to leave their places of origin and go to the land of the All this had a great impact on the environment and agricultural lands, which in turn led to the decline of agricultural production, and brought about a change in its pattern and the disappearance of some types of crops such as wheat, peanuts and sesame …. In favor of investing in real estate, residential and commercial buildings that invaded the land of the plain in Akkar.

مقدمة

تتنوع تضاريس عكار (جبال، هضاب، سهول) حيث عرفت هذه المنطقة بعض أعرق الحضارات القديمة، وما زالت الشواهد على ذلك كثيرة، منها:(قلعة عرقا) ذات البناء التاريخي القديم الذي يدل على عراقة الشعوب وتجذرهم وتعلقهم بالأرض، حيث كانت هذه الشعوب تحصل على قوتها ورزقها مما تجنيه من عملها الزراعي الدؤوب في سهل عكار، الذي يتميز بتربته الخصبة الفيضيَة منها والبركانية .

شهد العالم في بداية القرن الواحد والعشرين نموا" متسارعا" في البناء وخاصة في الدول النامية (التمدين)، وذلك نتيجة ارتفاع معدل الخصوبة والولادات في هذه الدول، ما يعكس عدة مشكلات على الصعيد الاجتماعي والخدماتي والبيئي، وتكمن التحديات في تأمين المساكن الضرورية وتوفيرها للجيل الناشئ وخاصة في المدن، وغالبا" ما يكون تأمين هذه المباني على حساب الضواحي والأراضي الزراعية المجاورة للمدينة .

« تعد مشكلة الزحف العمراني على حساب الأراضي الزراعية من المشاكل التي تعانيها جميع الدول حول العالم، وخاصة تلك التي تمتاز بزيادات سكانية سريعة، ويعرف التوسع العمراني على أنه الزيادة المستمرة في أعداد السكان سواء كان ذلك في سكن منتظم أو غير منتظم، وهذا ما يؤدي إلى زيادة الطلب على الأراضي الزراعية ومن ثم إيجاد خلل في التوازن البيئي. وفضلاً عن الزيادة السكانية هناك عوامل أخرى تساعد على التوسع العمراني أبرزها سياسة الدولة من خلال استحداث الأحياء السكنية الجديدة في أو بالقرب من الأراضي الزراعية فضلاً عن العامل المادي الذي من خلاله يتم إغراء أصحاب الأرض الزراعية الواقعة في ضواحي المدن واستغلالها لأغراض غير زراعية، كما أن للعوامل الاجتماعية أيضاً دوراً بارزاً من خلال رغبة بعض سكان المدن في السكن في ضواحي المدينة، إذ يقتطعون مساحات معينة من الأراضي الزراعية ويحولونها إلى أرض سكنية ترفيهية فقط دون الاستفادة منها في الزراعة، وهذا ما يحصل في مناطق عديدة من العالم» ((1))

تؤثر الأحداث الأمنية والسياسية والمالية والنشاط الاقتصادي في توجيه العمران، وتحدد هذه العوامل مدى تأثيرها على البيئة والأراضي الزراعية، وذلك من خلال تدني أو ارتفاع نسبة النزوح نحو منطقة معينة نتيجة الأحداث الدائرة والوضع الأمني وغياب

(1)https//:iasj.net/iasj/article32675/

تاريخ الزيارة : الثلاثاء الواقع 23/5/2023 ، الساعة 11 م .

سلطة الدولة، وعدم توجيه المواطنين وإرشادهم نحو التنظيم المدني والبناء السليم .

كما وتؤدي عملية النزوح المتسارع والبناء العشوائي إلى تداعيات بيئية وخدماتية كبيرة، وخاصة في ظل فقدان الحل الشامل الذي هو من مهام السلطة السياسية (الدولة) بعد أن أصبح العمران واقعا وعدم إزالة المباني المخالفة وإنشاء بنى تحتية أمرا صعبا في ظل الفوضى العارمة التي ارتكبها المواطن عندما قام بإنشاء المباني المخالفة للقوانين مما يؤثر سلبا على المناطق الزراعية والبيئية والتنظيمية، ولم يلتزم بأية معايير قانونية من حيث الأبعاد والمسافات والمساحة وبالتعدي على الحق العام في كثير من الأحيان، وهذا ما شهدناه ولمسناه من خلال بحثنا الميداني، والذي سنتحدث فيه عن الزحف العمراني وأثره على الزراعة والبيئة بشكل عام في منطقة سهل عكار والقرى والبلدات المجاورة له .

خريطة رقم (1) :

موقع منطقة الدراسة بالنسبة للمناطق السكنية والطبيعية المحيطة بها .المصدر : تنفيذ الباحث .

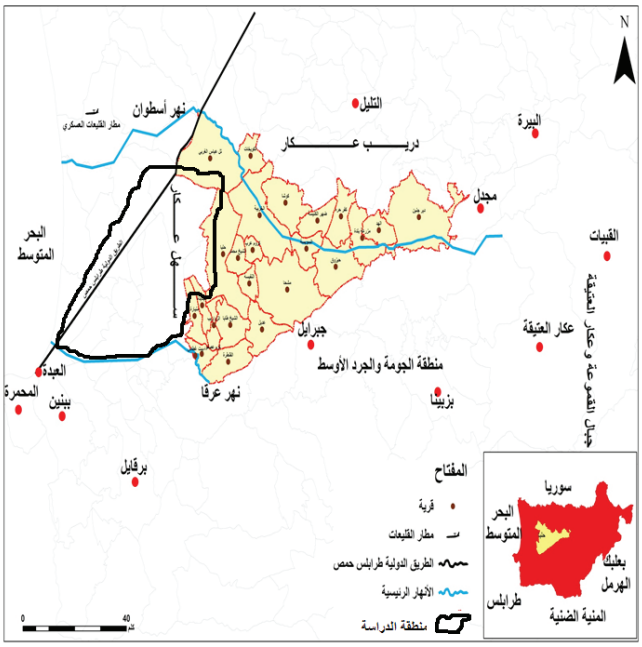

يحتل سهل عكار الجزء الشمالي الساحلي من لبنان الممتد من مجرى النهر الكبير الفاصل بين الأراضي اللبنانية والسورية في الشمال، حتى مجرى نهر البارد في الجنوب بموازاة السفوح الجبلية المقابلة للبحر المتوسط، والتي تحد السهل من الناحية الجنوبية

الشرقية، والجنوبية الغربية بمستوى متوسط دون 300م .

أما حدود منطقة الدراسة التي نحن بصددها فهي المنطقة السهلية التي تحتل وسط سهل عكار والتي تمتد من مجرى نهر اسطوان من الشمال الشرقي حتى مجرى نهر عرقة من الجنوب الغربي، ويحدها الأوتوستراد الذي يخترق أطراف سهل عكار من الشرق (طريق حلبا _ الكويخات) حتى الطريق الدولية (طرابلس _ حمص) غربا، والخريطة المرفقة رقم (1) توضح جغرافية السهل ومنطقة الدراسة فيه .

تعتبر هذه المنطقة سهلية بامتياز إذ تتعدم فيها النتوءات التضاريسية المختلفة، وتغطي هذه الأراضي تربات متنوعة معظمها رسوبي المصدر، كالتربة الفيضية، إلى جانب التربة البركانية الرمادية، والتربة الصلصالية الحمراء.

صورة جوية لمنطقة الدراسة تظهر التوسع العمراني على حساب الأراضي الزراعية في سهل عكار الأوسط، 2022 م . المصدر : غوغل (تنفيذ الباحث)

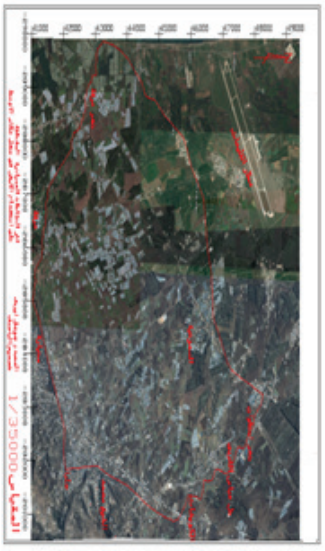

نلاحظ من خلال الصورة الجوية بأن التمدد العمراني يغزو منطقة الدراسة من الجهات الثلاث، من ناحية الشمال الشرقي، حتى الجنوب الغربي منها، فهذه المنطقة الأشد

تأثيرا" في الزحف العمراني، فبلدة حلبا التي تعتبر مركز القضاء (قضاء عكار) قد تداخلت حدودها العمرانية بحدود المنطقة الزراعية التي غزاها البناء، وأصبحت منطقة سكنية ينتشر فوقها البناء المتنوع الحجم(أبنية ذات طبقة واحدة، وأخرى ذات طبقات متعددة)، فالمواطن أو الزائر لم يعد يستطيع أن يفرق بين خراجي بلدة حلبا والشيخ محمد من الجنوب والجنوب الشرقي للسهل الزراعي، وبين خراج بلدة حلبا وخراج البلدات الاخرى من ناحية الغرب والجنوب الغربي مثل : بلدات الشيخ طابا والحكر ومنيارة....، والسبب في ذلك تداخل وتلاصق العمران في هذه المناطق .

أما شمال منطقة الدراسة فيظهر أن التوسع العمراني قد تراجع نشاطه، ولو لم يكن هناك عائق طبيعي(الطريق الدولي حمص – طرابلس) أمام هذا النمو العمراني لربما وجدنا كثافة أعلى في البناء وعلى مساحات واسعة، كما هو الحال عند المنطقة الجنوبية والجنوبية الغربية المفتوحة أمام انتشار البناء، حيث لا يوجد أية عوائق طبيعية ولا حتى قانونية في كثير من الأحيان من أجل تنظيم ومنع هذه الظاهرة الخطيرة من الانتشار فوق الأراضي المزروعة في المستقبل، والتي تعد مخالفة للقوانين المدنية والزراعية .

أهداف الدراسة

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي :

1 – إلقاء الضوء على النمو العمراني ومعرفة استخدامات الأرض فيها.

2 – تحديد اتجاهات التوسع العمراني في منطقة الدراسة .

3 – التعرف إلى التغيرات والتحولات البيئية لهذه المنطقة ومعرفة التداعيات الكامنة وراء التوسع العمراني (تآكل الأراضي الزراعية ...).

إشكالية الدراسة

أدى الزحف العمراني على السهل من المناطق المجاورة له (مدينة حلبا – قرى تل عباس – الكويخات – منيارة ...الخ)، إلى زيادة التداخل والتفاعل بين هذه المناطق ومنطقة السهل الأوسط وبالتالي عكس تأثيرا مباشرا على تقليل الأراضي المزروعة، وزيادة الضغط على المرافق المدنية .

سارت ظاهرة البناء في المناطق الزراعية (قبل سنة 2018) بوتيرة متزايدة، بالرغم من وجود قانون للتنظيم المدني الذي يحد من توجه المواطنين للبناء في الأراضي الزراعية في منطقة السهل في عكار. هذه الظاهرة أدت إلى تآكل مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة وخاصة داخل منطقة السهل الأوسط، بالإضافة إلى إقامة بعض المنشآت الصناعية والخدماتية (مستشفيات – تجمعات سكنية – محطات وقود – معامل الدهانات ...) ذات التأثير البيئي المتنوع على الأراضي الزراعية . هذا النمو أدى أيضا" إلى تغيرات حقيقية في منطقة السهل الأوسط والمنطقة المجاورة له، فما هي التأثيرات الزراعية ؟ وكيف يمكن وضع حلول مجدية وحقيقية للحد من تآكل الأراضي الزراعية؟

فرضية المشكلة

يعتبر سهل عكار من المناطق التي تأثرت بالتمدد العمراني والسكني نتيجة النمو الطبيعي والتزايد السكاني، هذه الطفرة السكانية المتنامية أتت كنتيجة طبيعية لارتفاع معدل الولادات في المنطقة والنزوح المتواصل وخاصة بعد سنة 1975، وهي الفترة الأكثر نزوحاً باتجاه السهل، وبعدها النزوح السوري نحو لبنان، فالزيادة السكانية والعمرانية ستؤدي الى زيادة الطلب على الأراضي، وبالتالي ارتفاع أسعارها، وسيفرض هذا الواقع تغيرات وتحولات جذرية في استخدامها واستثمارها، فستصبح أجزاء واسعة من هذه الأراضي خاضعة للتأثير المدني بسبب تحولها من الاستخدام الزراعي محدود المردود، إلى الاستخدام المدني ذي المردود الأعلى، الأمر الذي سيؤدي الى تراجع المساحات الخضراء وتناقص المساحات المزروعة وكميات الإنتاج .

– مناهج وأساليب الدراسة :

- المنهج الوصفي : يعتمد على جمع بيانات دقيقة عن الظاهرة في ظروفها الراهنة، وذلك باعتماده على الملاحظة والمعاينة الميدانية ووضع تقرير وصفي بما يلاحظ من دون زيادة أو نقصان أو تحيزات شخصية، واعتماد بعض الصور التي يتم التقاطها دلائل عينية لمشاهدة الظاهرة المدروسة
- المنهج التحليلي : يستخدم في اختبار الفروض الإحصائية بهدف تعميم النتائج التي يحصل عليها الباحث من تجربة ما، أو من مجموعة من التجارب على مجتمع أوسع وأكبر، هنا وبعد جمع البيانات والمعلومات الميدانية يصار إلى فرزها، ثم فحصها وتحليلها لاستنتاج المعلومات الدقيقة والصحيحة لاستخدام النتائج المرجوة.

- المنهج الكمي : هو أحد طرق القياس التي يتم استخدامها في الأبحاث والدراسات العلمية، لاختبار الفروض الإحصائية ومن ثم تطبيق النظريات والمفاهيم المكتسبة على أرض الواقع بالنسبة للأبحاث ذات الصبغة العلمية، ويُشبّه بعض خبراء البحث العلمي المنهج الكمي بأنه بمثابة الخريطة الكبيرة التي يستخدمها مرتادو الصحارى للوصول إلى مبتغاهم لاكتشاف منطقة معينة، أو الوصول إلى مكان محدد، إضافة إلى الخرائط المعتمدة في دراسة المنطقة من كافة الصعد، والتي تعمل على توضيح العلاقة بين مكان وآخر .

-أدوات البحث العلمي

أ- تعد الاستمارة من التقنيات الأساسية في البحث العلمي، وسنعتمد بعض الاستمارات لدراسة المنطقة من الناحية الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية والخدماتية والبيئية .

ب - المعاينة المباشرة أو الملاحظة: من الأدوات المهمة في البحث العلمي التي تساعد الباحث في تدوين المعلومات بشكل مباشر . كما تساعده في التدقيق والتحقيق في بعض المعطيات العلمية المتوفرة عن منطقة الدراسة .

ج- المقابلة : وهي من الوسائل المهمة للحصول على المعلومات، حيث يتم تدوين الأسئلة على ورقة مرقمة نترك خلف كل سؤال مساحة فارغة لتدوين الإجابة من الشخص المسؤول، أو تسجيل المحادثة، ومن ثم أخذ المعلومات المطلوبة بعد الاستماع إليها (نماذج المقابلات).

د- الأدب العلمي والجغرافي المنشور عن المنطقة : سيتم الاعتماد على المصادر والمراجع المكتوبة، الخاصة بمنطقة عكار على الرغم من قلتها، مثل: الأطروحات والرسائل الجامعية، الكتب، مواقع الإنترنت وسواها، والتي يمكن الاعتماد عليها والاستفادة منها في اقتباس بعض الأفكار والمعلومات وفي التحليل والتعليل العلمي، ومعرفة التغيرات والتطورات التي شهدتها المنطقة .

- واقع الزحف العمراني .

عرفت منطقة السهل الزراعي في عكار، وخاصةً القسم الأوسط منه، توسعا عمرانيا متسارعا خلال السنوات الأخيرة (منذ أواسط التسعينيات) رافقه انتشار البناء العشوائي، والذي يمثل واحدة من أهم المشكلات التي تواجهها البيئة والقطاع الزراعي، في ظل

غياب الدولة ومؤسساتها الوزارية والادارية التي من أهم واجباتها وأولوياتها الاهتمام بهذا المَعلَم الطبيعي التي يشكل أهم سهل في لبنان بعد سهل البقاع .

أحدثت الزيادة الطبيعية للسكان – نتيجة النزوح المتواصل (السوري واللبناني) وزيادة نسبة الولادات في منطقة السهل – واقعا" جديدا" يتجلى بزيادة أعداد السكان المختلفين في بعض الخصائص الاجتماعية وبعد العادات والتقاليد، ولا سيما بعد سنة 1980 وهي فترة الأحداث اللبنانية (الحرب الأهلية) حيث وصلت نسبة النزوح في تلك الأثناء إلى أعلى مستوى، هذا الواقع الاجتماعي أرخى بظلاله وثقله على البيئة والأراضي الزراعية التي كان لهما النصيب الأكبر من التلوث البيئي وقضم الأراضي والمخلفات البشرية (فضلات ونفايات صلبة ومياه مبتذلة ومجارير صرف صحي وحفر الامتصاص ...)، هذا الواقع الأليم لم يكن ليشكل خطرا حقيقيا عند ولادته خلال فترة السبعينيات، وكان من السهل معالجته والسيطرة عليه أوائل التسعينيات عند ولادة أول حكومة لبنانية، بعد حرب أهلية دامية بقيت لأكثر من 16 سنة، إنما هذا الواقع بقي ينمو ويستمر في صورته المؤذية للبيئة والحياة البشرية حتى أصبح اليوم أمرا" جللا" ومخيفا" من حيث ارتفاع نسبة التلوث وتناقص الأراضي الزراعية، وغياب هذا الواقع البيئي المرير من سلم اهتمامات وزارة الزراعة والبيئة الموكلة بالحفاظ على الحق العام البيئي والزراعي.

ونستطيع تصوير المشهد البيئي والواقع الحالي لمنطقة الدراسة المبحوث فيها، وذلك من خلال عرض واقعين :

1 – الواقع الاجتماعي.

2 – الواقع الخدماتي .

لقد تهافت الناس على السهل سعيا وراء العمل وسهولة العيش، لكن هذا التهافت كان يتطلب إقامة مساكن ملائمة تراعي الشروط القانونية والبيئية وبنى تحتية هامة تلبي الحاجات المتزايدة وتوفر الشروط النفسية والصحية والاجتماعية اللازمة، ولما كان النزوح باتجاه السهل الأوسط كثيفا في بعض الأحيان وفجائيا في أحيان أخرى، فقد سبب ضغطا متزايدا على البيئة، وفرض تحديات ومشكلات عدة على الصعيد الاجتماعي والخدماتي والبيئي، فما هي هذه التحديات وكيف يمكن تصويرها ؟

1 – الواقع الاجتماعي

يتميز سهل عكار بإنتاجه الزراعي المتنوع من خضروات وحبوب وفاكهة وبقوليات، وتعتبر فترة السبعينيات، بداية مرحلة جديدة بدأت تتغير فيها الملامح الحقيقية للسهل وصفته الزراعية البحتة، حيث اختلطت فيها الأمور وتنوعت وأصبحت منطقة السهل تأخذ طابعا عمرانيا عشوائيا وزراعيا في آن معا، فقبل فترة السبعينيات كانت هذه المنطقة وبشكل عام منطقة زراعية بامتياز، خالية من أي نشاط بشري غير زراعي يذكر بحيث لا يوجد تنوع في النمط الزراعي (بيوت بلاستيكية)، أو أي نشاط عمراني بهدف الإقامة الدائمة وتغيير مكان السكن السابق، باستثناء بعض الخيم والبيوتات المسقوفة من التنك التي تعود للمزارعين في منطقة السهل الذين يمارسون العمل الزراعي سواء في أرضهم أو كأجراء دائمين يعملون بشكل يومي أو موسمي يأخذون أجرتهم عند الحصاد وقطاف الثمار من صاحب الأرض الذي غالبا" ما يقيم في قرية مجاورة أو في المدينة .

فخلال تلك الحقبة كان سهل عكار المورد الغذائي الأساسي ومقصد الكثير من أهالي القرى المجاورة له لقضاء فترة العمل اليومية، أو ممارسة العمل الزراعي المتنقل (الرعي)، حيث كان الأهالي يذهبون يوميا" إلى السهل مشيا أو على دوابهم، ومن ثم يعودون مساء" بعد أن أنهوا فترة العمل اليومية وهم يحملون فوق دوابهم الأعلاف الخضراء من نباتات الذرى والفول السوداني الذي كان يعتبر من الزراعات المهمة في تلك الحقبة((1)).

كان النشاط الزراعي العمل الأساسي للمواطن العكاري خلال فترة السبعينيات حيث كان سكان منطقة السهل والجوار متقاربين بالمستوى الاجتماعي من حيث المسكن والملبس والمستوى الثقافي والتعليمي، هذه الحالة المتقاربة في نمط العيش كان لها دور إيجابي في تمتين الروابط الاجتماعية وتوحيد العادات والتقاليد مع غياب الفروقات الطبقية والاجتماعية وغياب الأسباب التي تدعو إلى التفرقة والابتعاد عن الآخر .

بعد منتصف السبعينيات، تغيرت ظروف الحياة مع تغير الظروف السياسية والأمنية والاقتصادية، وبدأت الحرب الأهلية وساء الوضع الأمني وأخذ الاقتصاد اللبناني بالتراجع، فانعكس ذلك على الحالة الاجتماعية للمواطن مما زاد من نسبة النزوح وخاصة بين سنتي 1975–1991 حيث بلغت 40٪ .(انظر الجدول رقم1 ص...)، مما اضطر

(1) مقابلة شخصية مع المزارع بدر محمد بدر علوش مواليد 1952 ،بتاريخ 23/12/2022.

المواطن إلى تغيير السكن من الأماكن التي تتحكم فيها ظروف قاسية وطاردة للعيش (أماكن الاشتباك وخاصة المدن والمناطق الجبلية الباردة) إلى أماكن أكثر أمنا" وأسهل عيشا" تتوفر فيها أسباب العيش وظروف الحياة الملائمة للسكن .

جدول رقم (1) فترات النزوح وأسبابها ونتائجها على منطقة البحث[(1)].

تاريخ النزوح	النسبة المئوية
قبل 1975	13،3
1975-1991	40
1992-2005	26،6
بعد 2005	20،1
المجموع	**100**

المصدر : عمل الباحث

هذه الحقبة يسميها اللبنانيون حقبة الحرب الأهلية، حيث حدثت فيها تغيرات جذرية في المشهد الجغرافي والديموغرافي . فمن خلال (الجدول رقم 1) نلاحظ أن نسبة النزوح خلال فترة 1975-1991 هي الأعلى، حيث سجلت النسبة 40٪مقارنة مع الفترة السابقة قبل سنة 1975 والتي سجلت نسبة 13،3٪، أما الدوافع لهذا النزوح والتوجه نحو منطقة السهل الأوسط فقد جاءت متباينة وعلى الشكل التالي :

نالت منطقة الدراسة التي نحن بصددها القسم الأكبر من أعداد النازحين وخاصة من المناطق الجبلية (فنيدق، مشمش، بيت يونس، تاشع، عكار العتيقة ...)حوالي 50٪ وهؤلاء أتوا هربا" من شدة المناخ الجبلي البارد سعيا" وراء الرزق والعمل في منطقة سهل عكار .

نستطيع القول إن أغلب الذين نزحوا باتجاه السهل قد استوطنوا وأصبحوا سكانا" مقيمين بشكل دائم أو أصبح لديهم ثنائية في السكن وإن كانوا يفضلون السكن الجديد (منطقة الدراسة) .

(1) البحث الميداني (نتائج الاستمارة التي وزعت على قرى وبلدات العينة، – العينة العنقودية العشوائية)

بدأت تنمو منطقة السهل عمرانيا"بعد منتصف السبعينيات وبشكل عشوائي، داخل السهل بين سنة 1991-1975، وهي أعلى نسبة عرفتها تلك المنطقة، وكان البناء ينمو أفقيا ويتوسع على حساب الأراضي الزراعية غير أنه بعد فترة التسعينيات بدأ التوسع العمودي للبناء وخاصة على واجهة الطريق، حيث ارتفعت نسبة الاستثمار العمراني وسمحت تراخيص البناء لأربع طبقات بعد سنة 2013[(1)] .

وبالرغم من التطور التقني والهندسي المعاصر فإن المشهد العام للبناء داخل السهل (وخاصة الأوسط منه) هو مشهد عمراني عشوائي لا يخضع لأية معايير تنظيمية مدروسة، تحترم القوانين المرعية والحق العام .

إن زيادة نسبة البناء بعد سنة 2005 كان سببه الرئيسي زيادة نسبة الولادات في المنطقة وبلوغ هؤلاء الفتيان سن الزواج، بالإضافة إلي توفر المكان المتاح للبناء سواء" فوق البناء القديم (بيت الأهل) أو إلى جانبه حيث يتم إنشاء مبنى جديد فوق قطعة أرض كانت زراعية في السابق .

جدول رقم (2) : توزع أعداد الأسر النازحة من السوريين واللبنانيين على قرى وبلدات العينة 2020م.

	السوريون		اللبنانيون		المجموع	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
الشيخ طابا	21	1.1	33	2	54	1.7
الجديده	9	0.6	7	0.4	16	0.5
منيارة	72	4.9	32	1.9	104	3.3
الكويخات	62	4.2	56	3.4	118	3.8
الشيخ محمد	204	13.9	172	10.4	376	12
كفر ملكا والجوار	371	25.4	313	18.8	684	21.9
حلبا	731	49.9	1048	63.1	1779	56.8
المجموع	**1470**	**100**	**1661**	**100**	3131	**100**

المصدر : رؤساء بلديات ومخاتير قرى وبلدات العينة .

نتبين من خلال الجدول رقم (2) أن مدينة حلبا هي الأكثر استقبالاً لوفود النازحين السوريين منهم واللبنانيين، فنسبة الأسر السورية بلغت 49.9%، والأسر اللبنانية سجلت نسبة أعلى 63.1 %، يليها بلدة كفر ملكا والجوار حيث بلغت نسبة الأسر السورية التي

(1) مقابلة شخصية مع رئيس بلدية حلبا السابق أبو ربيع الحلبي بتاريخ 14/12/2022 .

نزحت إليها 25.4%، وفي الشيخ محمد 13.9%، أما باقي البلدات مثل : الكويخات – منيارة – الجديدة والشيخ طابا، فإن نسبة الأسر السورية المقيمة فيها متدنية وقد جاءت نسبهم على التوالي : 4.2% – 4.9% – 0.6% و1.1% .

أما النازحون اللبنانيون الذين أتوا من قرى وبلدات متفرقة من عكار وخارجها، فقد جاءت نسبهم على الشكل التالي : كفر ملكا والجوار 18.8 %ا لشيخ محمد 10.4% – الكويخات 3.4 % – الشيخ طابا 2% – منيارة 1.9 % – الجديدة 0.4 %.

تشكل نسبة أعداد الأسر السورية النازحة إلى منطقة البحث 46.9 %، في حين أن نسبة النازحين اللبنانيين لم تزد عن 53.1% .

يبقى للنزوح السوري تداعياته الاقتصادية والاجتماعية والخدماتية، على الدول المستضيفة لهم، وقد أصبح يشكل عبئاً على الخزينة والمؤسسات الخدماتية التي لم تعد تستطيع استيعاب الفائض من واجب الخدمة كالمستشفيات والمساكن، والبنوك التي يقف أمامها جموع النازحين عند استلام المساعدات النقدية ...، فضلاً عن تراجع فرص العمل أمام اللبنانيين، وتدني أجر العمالة السورية أحدث تراجعاً وانخفاضاً في استمرارية العمالة اللبنانية وبخاصة المتعلق منها بأعمال البناء والصيانة العامة ...، لقد كان لذلك تأثير ظاهر على سكان المنطقة، وتقاسم مشترك في الموارد والسلع المتاحة .

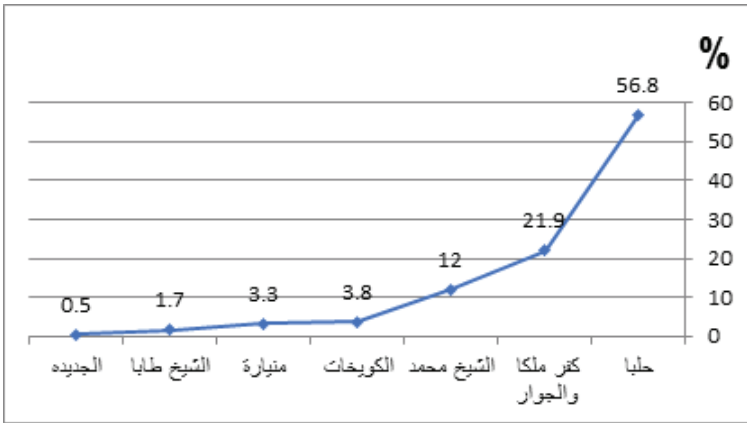

رسم بياني رقم (1) : التوزيع النسبي لأعداد النازحين السوريين واللبنانيين على قرى وبلدات منطقة الدراسة .

المصدر : جدول رقم (2) صفحة

تتركز أعداد النازحين في حلبا بنسبة 56.8% من مجموع الأسر النازحة اللبنانية والسورية، تليها منطقة كفر ملكا والجوار بنسبة 21.9% ثم بلدة الشيخ محمد بنسبة 12%، أما قرية الجديدة فهي الأدنى في وجود الأسر النازحة، وقد سجلت النسبة فيها 0.5% من مجموع أعداد النازحين .

إن تفاوت أعداد النازحين وتواجدهم في مناطق أكثر من مناطق أخرى يعود لبعض الأسباب الطبيعية والثقافية والخدماتية ...، فمدينة حلبا ومنطقة كفر ملكا والجوار وبلدة الشيخ محمد هي الأكثر سكاناً (في أطراف سهل عكار عند الناحية الجنوبية منه بعمق متوسط شمالا)، مقارنةً مع أعداد باقي القرى والبلدات، وبالتالي فإن اتساع مساحة هذه البلدات والارتفاع النسبي للنشاط العمراني فيها، وتوفر بعض المساكن الفارغة للإيجار، إضافة إلى ارتفاع نسبة الحركة السكانية والتجارية والعلمية أكثر من باقي البلدات، قد دفعت بأعداد النازحين واختيارهم لهذه البلدات المذكورة، أكثر من البلدات الأخرى الأدنى نموا.

تجدر الإشارة هنا أنه ومن خلال مقابلاتي الشخصية مع عدة أشخاص مقيمين في السهل الأوسط وجدت أن أغلبهم أصحاب مهن وموظفون في القطاع العام (المؤسسة العسكرية) وممن يحبذون استمرارية الإنجاب وكثرة الأبناء، ويرون في العمل الزراعي عملا" إضافيا" يقومون به بعد الانتهاء من دوام العمل الوظيفي والمهني .

صورة رقم (1) بناء عشوائي قريب جدا" من الطريق – المصدر عمل الباحث .

أما فيما يتعلق بتعليم الأبناء فهو من الأولويات بالنسبة إليهم، هذا الفكر المتطور اجتماعيا" وثقافيا" انعكس على الحالة الواقعية التي كانت سائدة خلال الثمانينيات، فالروتين الوظيفي والاهتمام بمتطلبات العائلة المتضخمة، أرهقا كاهل رب الأسرة وأصبحت منغلقة بنسبة كبيرة على نفسها، ولم تعد تبدي اهتماما" كبيرا" للعادات والتقاليد التي كانت سائدة خلال منتصف السبعينيات مثل عادات الأعراس والتزاور المستمر، وعدم الاهتمام بتعليم البنت والانفتاح الزائد نحو الآخر، كل ذلك أصبح بنسبة كبيرة من الماضي، وحلت مكانها عادات جديدة تتصف إلى حد ما بالفردية والاهتمام بالعمل والأسرة .

لقد ساهم السكان الجدد – النازحون – بتحريك النشاط التجاري والمهني في منطقة سهل عكار، فازدادت نسبة المدارس والمهنيات والمحال التجارية والخدماتية والمؤسسات التعاونية والاستهلاكية، فشكلوا قوة شرائية واستهلاكية كبيرة ساهمت في تسريع الدورة الاقتصادية للمنطقة وإنماء بعض الصناعات والمهن المرتبطة بالبناء والعمران مثل : مصانع الموبيليا وورش الحديد والألمنيوم ....، وهذه من أهم إيجابيات الزيادة السكانية ودورها في تغيير الواقع الاجتماعي الاقتصادي في منطقة السهل الأوسط .

1 – الواقع الخدماتي .

تعاني منطقة السهل الأوسط عدة مشكلات خدماتية، بعد أن اتسعت رقعة البناء وتمددت مساحته داخل السهل وعلى الواجهة منه، فعشوائية البناء واتساع رقعة السهل، ساهمت بشكل واضح في صعوبة التغلب على المشكلات البيئية، وخاصة في ظل غياب الدولة وعدم وجود أي دراسة حالية أو مستقبلية لإنقاذ سهل عكار من مخاطر التلوث وتناقص الأراضي الزراعية والمساحات الخضراء، فمعاناة سكان السهل والمشكلات التي يعانونها، هي مشكلات خدماتية وبيئية بامتياز، من الممكن أن نصور المشهد الجغرافي العام لمنطقة الدراسة من خلال النقاط التالية:

أ – تأمين الحاجات الأساسية :

تفتقر منطقة الدراسة إلي وجود بنى تحتية من : شبكات مدروسة للطرق، والكهرباء والهاتف الأرضي، تغطي كافة المنازل المتواجدة داخل السهل، فالطرقات الداخلية أكثرها ترابية غير معبدة، بالإضافة إلى أنها ضيقة ولا تصلح إلاّ للآليات الزراعية (الجرار) .

صورة رقم (2): طريق داخل منطقة السهل محفرة وموحلة تعكس جزءاً من المشكلة .

المصدر: عمل الباحث.

ب – مياه الشفة :

يشكل تأمين مياه الشفة حاجة أساسية لا يستغنى عنها، وتخلق مشكلة لعدد كبير من المواطنين الذين يعانون نقصا" حادا" في المياه وخاصة خلال الصيف .

يلجأ كثير من سكان المنطقة إلى التزود بمياه الشفة من الآبار، أو من خارج المنطقة مع عدم الارتياح لنوعية المياه المستخرجة من الآبار بسبب اختراق منطقة السهل بالعديد من المجارير وقنوات الصرف الصحي التي لا تصل مياهها المبتذلة خلال الصيف إلى البحر، بل تحتقن في القنوات مما يزيد من تلوث الآبار والمياه الجوفية التي تستخدم في ريّ بعض المناطق الزراعية وفي الاستخدام المنزلي وفي مياه الشفة .

ج– الصرف الصحي :

الصرف الصحي في منطقة الدراسة، هو من أهم المشكلات التي يعانيها سهل عكار بشكل عام، فالمنطقة المبحوث فيها هي المنطقة المنخفضة التي تحيط بها مجموعة من القرى من الناحية الشرقية والجنوبية الشرقية، ويخترق منطقة السهل الأوسط نهرا اسطوان وعرقة، حيث ينتهي مصب كل نهر عند شاطئ البحر المتوسط غربا".

نستطيع القول إن مياه كل نهر منهما هي مياه مجارير بنسبة حوالي 40٪ وخاصة خلال فصل الصيف (فصل الجفاف)، وتدني منسوب المياه التي تغذي مجرى النهر، فسكان عشرات القرى التي تحيط بهذين النهرين يقومون بوضع مجارير الصرف الصحي الرئيسية والمياه المبتذلة في مجرى النهرين (اسطوان وعرقة)، حيث تعتبر مياههما المصدر الرئيسي في ريّ المزروعات، ويتفرع عنهما بعض القنوات التي تخترق أرض السهل، إلى جانب شبكة مجارير تعود لسكان السهل والقرى القريبة منه (مثل : منيارة – الجديدة – الحكر – الشيخ طابا – حلبا والشيخ محمد ...)، وتعرف قنوات الصرف الصحي من خلال روائحها الكريهة ولونها الأسود، فمعظم هذه القنوات هي عبارة عن خنادق ترابية طويلة مكشوفة تنبعث روائحها من مسافات بعيدة، وكلها تستخدم في ري وسقي المزروعات .

صورة رقم (3) : قناة صرف صحي تستخدم في ري مزروعات البيوت البلاستيكية والأراضي المكشوفة . المصدر : عمل الباحث .

د- النفايات المنزلية :

تتبع منطقة السهل الأوسط إداريا" مجموعة من القرى والبلدات التي تحيط بالسهل، فمنطقة السهل لا تتمتع باستقلالية ذاتية ولا تخضع لإدارة واحدة أو بلدية واحدة، بل لمجموعة من البلديات التي يمتد خراجها وحدودها الجغرافية إلى أجزاء محددة من السهل، لذلك نجد أن نقل نفايات السكان المنزلية تتم من خلال عدة بلديات مثل : بلدية

حلبا – الشيخ طابا – الشيخ محمد ومنيارة، إلى خارج السهل حيث المكب الرئيسي الذي يقع شرقي سهل عكار، وبالرغم من الاهتمام البلدي في نقل النفايات من المناطق التي تتبع جغرافيا" (من منطقة السهل) لكل بلدية فإن هناك تقصيرا" وجهلا" كبيرا" في رمي النفايات في أنحاء متعددة من أرض السهل، وخاصة على جوانب الطرقات (انظر الصورة رقم 4) وفي المناطق الداخلية التي تعاني صعوبة الوصول إليها بسبب ضيق الطريق وبنيتها الترابية المحفرة والموحلة في فصل الشتاء .

صورة رقم (4) : مكب نفايات منزلية بجانب طريق داخل منطقة السهل الأوسط .

المصدر : عمل الباحث.

هـ- قضم الأراضي الزراعية :

تتوسع منطقة السهل عمرانيا"على حساب الأراضي الزراعية التي كانت تعين السكان المحليين في توفير وتأمين جزء مهم من الحاجات الغذائية.

صورة رقم (5) تمدد البناء فوق الأراضي الزراعية . المصدر : عمل الباحث.

فما دامت المشكلات معقدة ومتعددة فإن الوسائل المتاحة لمعالجتها تبقى عاجزة عن حلها، وخاصة في منطقة عكار التي تعاني الإهمال المزمن وعدم وجود أية دراسة حكومية تحمي الأراضي الزراعية وتنظم الواقع الخدماتي والاجتماعي للسكان، وهنا يمكننا تقسيم آثار الزحف العمراني إلى عدة أقسام : التأثير على المياه الجوفية والسطحية، وعلى البيئة بشكل عام...، وأبرز هذه الأقسام والتي نحن بصدد البحث فيها هي :

- أثر الزحف العمراني على الأراضي الزراعية .

عند دراسة الزحف العمراني في منطقة السهل الأوسط والقرى والبلدات المحيطة به، تبين أنه انقسم إلى فترتين : الفترة الأولى وكانت قبل عام 1992، حيث شهدت زحفا" عمرانيا" أفقيا" من دون تخطيط وبشكل عشوائي، مما يقلل حجم الفائدة من الأراضي التي يقوم عليها البناء في المنطقة، ولكنها فترة تأسيس للبناء واقتطاع أجزاء مهمة من الأراضي المعدة للاستخدام من الزراعي، ولقد بلغت نسبة البناء على واجهة طريق السهل حوالي 39٪ في الفترة التي سبقت عام 1975 م حتى نهاية عام 1991 [(1)] .

(1) نتائج الاستمارة والبحث الميداني،

أما الفترة الثانية أي بعد سنة 1991م فقد ازدادت فيها حركة البناء، وازداد عدد السكان فوق الأراضي المصنفة زراعيا"، حيث شهدت تلك الفترة زحفا" كبيرا" على منطقة السهل الأوسط، تميزت بزيادة العمران وارتفاعه (4 طوابق)، فكان التمدد العمراني مزدوجا" أفقيا" وعموديا"، مما ضاعف تأثيره في قضم الأراضي الزراعية، وتمدد الإسمنت على أجزاء واسعة من الأراضي المزروعة سواء على واجهة طريق السهل أو في الداخل منه، ولقد سجلت نسبة البناء على واجهة الطريق 61٪ بدءا" من سنة 1992 م حتى 2014 م .

المساحات العمرانية في لبنان على مستوى المحافظات (1994-2013)

المحافظة	المساحة الإجمالية بالـ كم2	المنطقة العمرانية مقدرة بالـ كم2 وكنسبة مئوية من المساحة الإجمالية					
		1994		2005		2013	
عكار	790	20	3%	44	6%	55	7%
بعلبك ـ الهرمل	2853	45	2%	73	3%	94	3%
بيروت	21	20	95%	21	98%	21	98%
البقاع	1413	46	3%	67	5%	83	6%
جبل لبنان	1973	226	11%	281	14%	312	16%
النبطية	1100	30	3%	76	7%	99	9%
الشمال	1187	49	4%	89	7%	101	9%
الجنوب	924	35	4%	68	7%	92	10%
لبنان	10262	472	5%	719	7%	858	8%

المصدر: المجلس الوطني للبحوث العلمية، 2015

«يشكل تحليل الصور الجوية العالية الدقة، المصدر الأكثر ملاءمة لدراسة العمران. وقد قام المجلس الوطني للبحوث العلمية في لبنان بعمل منهجي على صور السنوات 1994 و2005 و2013. وعلى الصعيد الوطني، فقد زادت المناطق المبنية والمصطنعة بنسبة تقارب 80%، إذ انتقلت من 472 إلى 858 كم2، أي 8% من الأراضي اللبنانية. »((1))

تعتبر هذه الفترات الأكثر كثافة في البناء على الأراضي اللبنانية كافة، وهو ما يعكس

(1) – فاعور، غالب – فرداي، إريك – حمزه، معين : أطلس لبان تحديات جديدة ، صفحة 54 –55 .

المناخ الملائم لسنوات إعادة الإعمار، حيث تم دعم تدفق رأس المال الخاص من خلال بناء البنية التحتية للطرق. ويبقى النمو العمراني قويًا في الفترة اللاحقة، وخصوصًا في المناطق المحيطة، ومن الملاحظ أن مساحات البناء في عكار قد ازدادت بشكل ملحوظ بين فترتي 1994 و2013 أكثر من ضعفين (من 20 الى 55 كلم مربع) حيث كان للسهل الأوسط النصيب الأوفر من هذه الزيادة العمرانية على حساب الأراضي الزراعية، وهذه الزيادة مسجلة ومأخوذة من مصادرها الرسمية، أما المباني العشوائية وغير القانونية، والمسموح لها من البلديات فهي أكثر من ذلك بكثير

لقد تميزت مباني تلك الفترة بالضخامة نسبياً وتعدد الطبقات (أربع طبقات)، وخاصة عند الأطراف الجنوبية من السهل، هذه المباني يقطنها الكثير من العائلات السورية النازحة بسبب الأحداث الأمنية في بلادهم، أما النزوح الداخلي فكان أغلبه من المناطق الجبلية باتجاه السهل، والأسباب الاقتصادية والخدماتية والوضع الأمني (الحرب الأهلية في لبنان بين سنة 1975 – 1990 أدت إلى حدوث نزوح معاكس من المدينة باتجاه الريف) كانت من أهم العوامل التي دفعت الكثير من المواطنين إلى تغيير أماكنهم، واللجوء إلى أماكن جديدة يتوفر فيها الأمان والعمل والمسكن، فمنطقة السهل هي المكان المتسع الذي وجد فيه النازحون (من الداخل والخارج) والمستثمرون المكان الملائم لتوفير المسكن واتخاذ الأراضي الزراعية أرضية مناسبة لإنشاء الأبنية السكنية، والمتاجرة بالشقق أو تأجيرها بسبب وفرة أعداد السكان النازحين اللبنانيين والسوريين حاليا"، حيث تبلغ أجرة شقة متوسطة الحجم دون 120م^{2}ما يزيد عن 90 دولاراً شهريا" في منطقة حلبا وضواحيها، وقد تصل الى أكثر من ذلك ((1)) إذا زاد حجم مساحتها إلى 150م^2 .

يتميز النشاط العمراني في سهل عكار بأن مبانيه متعددة الطوابق، هذه الزيادة سببها ارتفاع الطلب على الإيجار أو التملك في بعض الأحيان قبل سنة 2018، لذلك اتجه أصحاب العقارات لبناء العمارات ذات الطوابق المتعددة .

تجدر الإشارة هنا إلى أن نسبة البناء والتملك قد تقلصت بعد أحداث تشرين 2019، وانخفضت نسبة الطلب لشراء الشقق بسبب الوضع الاقتصادي المتأزم وجائحة كورونا، التي جعلت المجتمع اللبناني في أسوأ حالاته حتى تاريخ اليوم 2023 ، كما أن أحداث سورية انعكست سلبيا" على الداخل اللبناني، وأحدثت ضغطا" متزايدا" على الاقتصاد والمهن وأسعار الخدمة التي يقدمها العامل أو صاحب المهنة اللبناني في أي مجال من

(1) مقابلة شخصية مع رجل الأعمال ماجد الرفاعي .

مجالات العمل اليومية (مثل: بناء – تبليط – دهان – تلييس.....) مقارنة مع صاحب المهنة السوري الذي يعمل من أجل توفير لقمة العيش والمسكن له ولعائلته التي ترزح بشقة محددة في ناحية معينة من سهل عكار.

تقع عند أطراف سهل عكار من الناحية الشرقية بجانب مجرى نهر اسطوان قريتا تل عباس والحيصة، وتمتد قرية تل عباس انطلاقا" من الطريق الرئيسية (طريق حلبا – القبيات) باتجاه الشمال، بموازاة مجرى نهر اسطوان، وتأخذ هذه القرية شكلا" طوليا" حيث تصل حدودها الجغرافية قريبا" من الطريق الدولية شمالا" (طريق طرابلس – حمص) ، أما امتداد عمرانها الجديد فهو يمتد بشكل أفقي من الناحيتين الشمالية والغربية، أما من الناحية الشرقية فيوجد (نهر اسطوان) الذي يعتبر الحد الفاصل بينها وبين قريتي الكويخات والحيصة عند الضفة الثانية من النهر.

تنمو قرى تل عباس والحيصة والكويخات عمرانيا" بشكل أفقي على حساب الأراضي الزراعية، لأن هذه القرى تقع في خراج منطقة السهل الأوسط عند أطرافه الشمالية والشرقية، والنشاط العمراني لأبناء هذه القرى يقام أغلبه على حساب الأراضي المزروعة التي تفقد أجزاء واسعة من مساحتها سنويا" لحساب النشاط العمراني .

صورة رقم (6) : مجمع سكني داخل منطقة السهل الأوسط .المصدر : عمل الباحث .

توضح الصورة الارتفاع العمودي للأبنية، التي تعكس حاجة السكان – من أبناء المنطقة السهلية أو النازحين – للشقق السكنية وزيادة الطلب عليها وخاصة قبل سنة 2010، وهي فترة قد شهدت نموا" عمرانيا" متسارعا" بسبب زيادة الاستثمار في المجال العمراني، وزيادة نسبة السكان وتوافد النازحين باتجاه المنطقة السهلية للإقامة الدائمة أو المؤقتة بغية العمل أو الدراسة، (إنهاء موسم الدراسة السنوي)، لذلك قام أصحاب العقارات المتمولين ببناء العمارات الضخمة ذات الطوابق المتعددة « كما في الصورة السابقة « وذلك لتلبية حاجة السكن المتزايدة، واستغلال الفرصة التي منحتها الحكومة اللبنانية خلال سنة 2014 م، عندما زادت نسبة الاستثمار وعدد الطوابق المسموح بناؤها في منطقة الحزام الذي يحيط بالسهل من الناحيتين الجنوبية والغربية، بعمق يزيد عن 200م من طرف السهل إلى داخله، هذا النمو العمراني يبقى دائما" على حساب الأراضي المزروعة، التي أصبح الاستثمار فيها ذا مستوى متدن أمام الاستثمار في مجال تجارة العقارات والشقق السكنية .

تغطي الزراعة البلاستيكية أجزاء مهمة من كافة أنحاء السهل الأوسط وخاصة عند المنطقة الشمالية، وبشكل متقارب وكثيف، والتي تدل على أنها الزراعة المفضلة عند أصحاب هذه الأراضي، أما المناطق الأخرى من السهل فنشاهد أن هذه الزراعة قد أصبحت متداخلة بين المباني العمرانية، فمن خلال بحثنا الميداني وبعض المقابلات الشخصية التي أجريناها مع مجموعة من الأشخاص، وجدنا أن أغلب المزارعين يقومون ببناء منازلهم إلى جانب البيوت البلاستيكية التي أصبحت بالنسبة إليهم الزراعة المفضلة، بسبب مردودها الاقتصادي وسرعة الانتاج وتعدد المواسم في السنة الواحدة .

أما الزراعة المفتوحة، فتعتبر زراعة موسمية بالدرجة الأولى، ولا يستغني المزارع عنها مثل : زراعة البطاطا والفستق والقمح ....، ولم تزل مساحتها واسعة إلى حد ما، غير أنها أخذت تتراجع أمام الزراعة البلاستيكية. الظاهرة الأهم في ذلك هي أننا نرى العمران أكثر انتشارا" حيث الزراعات البلاستيكية نشيطة وأكثر كثافة (كما في الشمال والشمال الغربي والجنوب الشرقي من سهل عكار)، أما في المناطق الأخرى حيث الزراعات المكشوفة فلا نجد عمرانا" كثيفا" مرافقا" معها إلاّ نادرا"، وكأن ضيق مساحة الأراضي أو اتساعها (أحجام العقارات) قد يعكس سببا" مباشرا" في تحديد نوعية النشاط الزراعي (زراعة مكشوفة أو بلاستيكية) .

يتبين من خلال المعاينة الميدانية وبعض الصور الجوية بأن التمدد العمراني يغزو منطقة البحث من الجهات الثلاث، من ناحية الشرق حيث قرى تل عباس والكويخات والحيصة، ويتمدد عمرانهم غربا"، أي نحو الوسط الداخلي للسهل، أما المنطقة الجنوبية، والجنوبية الغربية فهما الأشد تأثيرا" في الزحف العمراني على منطقة السهل .

أما شمال منطقة البحث فلاحظنا أن التمدد العمراني قد تباطأ نشاطه وتراجعت حدة وذلك لأسباب طبيعية واقتصادية وخدماتية متعددة، منها ضعف الحركة السكانية هناك، وضعف البنى التحتية .....

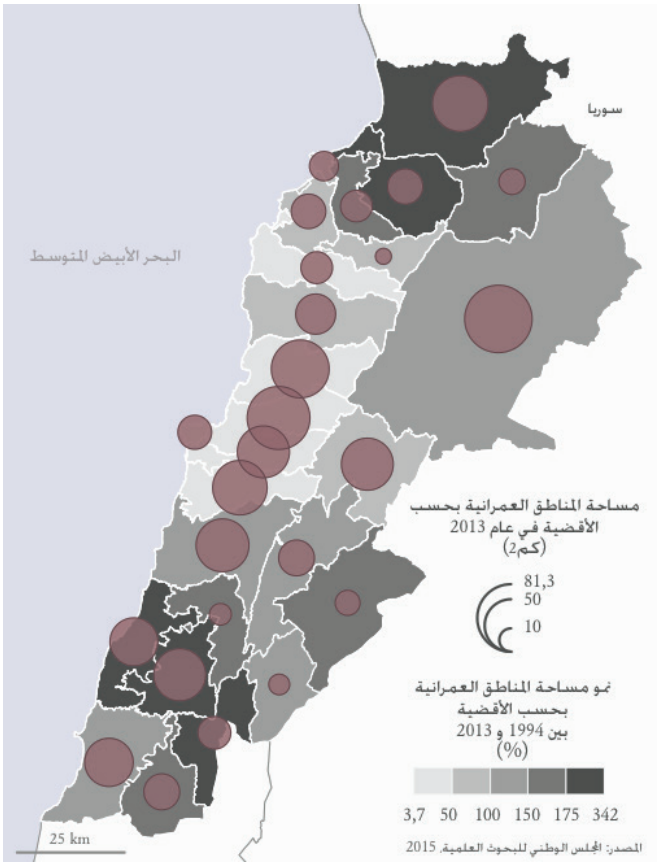

خريطة رقم (2)المناطق العمرانية والنمو العمراني (1994-2013)

« تظهر الخريطة بدقة أشكالاً جديدةً من العمران في شمال البلاد، وهي من أكثر المناطق حيوية في هذا الصدد، على الرغم من أنها تتميز بالفقر الواضح. ونلاحظ في البداية أن موقع طرابلس يشهد توسعًا عمرانيًا مستمرًا واضحًا مع غزو العمران للبساتين

الغربية وأيضًا في العديد من مناطق الزيتون في الأطراف الشرقية والجنوبية في المدينة، وباتجاه منطقة الكورة في الجنوب، وعلى طول الشاطئ الجنوبي الغربي. وباتجاه المنية وحلبا، تتم حركة العمران على شكل تمدد على طول محاور الطرق ولكن أيضًا بالتكثيف الأفقي في القرى والبلدات الموجودة وبالزحف العمراني على المناطق الزراعية. هذا النوع بالذات من العمران يمتد أيضًا في مناطق التلال والجبل. هذا يعكس في الوقت ذاته مدى ضعف أنظمة البناء والضغط الديموغرافي المحلي، هذا العمران ذوالكثافة المنخفضة يؤدي إلى الخلل في بنية المناطق الريفية ويغزو الأراضي الزراعية الخصبة. [1]يبدو من خلال الواقع أن غزو البناء انتشر بدرجة أعلى عند المنطقة الجنوبية الشرقية، والجنوبية الغربية حيث شكل انتشارا" واسعا" على كافة الجهات، آخذا" مسارا" باتجاه الشمال، وهذا التوسع في البناء ربما سيغطي منطقة السهل الأوسط إذا عاد ونما بوتيرة مرتفعة مع تحسن الأوضاع الاقتصادية في لبنان، لأن عملية التمدد العمراني تتوسع دون رادع قانوني وإنساني، فاحترام القوانين هو الضامن الأساسي لحماية الأراضي الزراعية، وتطبيق هذه القوانين وعدم تخطيها من المواطنين قد يضع حدا" لهذه التعديات غير المسؤولة، وكل ذلك من أجل المحافظة على هذه الثروة البيئية والحق العام .

إن آثار الزحف العمراني على منطقة السهل الأوسط واضحة بشكل كبير، ويمكن القول إن العوامل البشرية هي من أكثر العوامل تأثيرا" على رسم خريطة انتشار وزحف العمران على الأراضي المزروعة في منطقة الدراسة، وتتمثل أهم العوامل بما يلي :

أ – الزيادة السكانية في المنطقة كان له أثر في تكثيف استخدامات الأرض وتغيير نمط استغلالها .

ب – النزوح الداخلي والخارجي (الأزمة السورية حاليا"، وزيادة الطلب على شقق الإيجار) ساهم في ازدياد وتيرة البناء لتلبية الاحتياجات السكنية وخاصة بعد سنة 1995 .

ج– وقوع المنطقة على خط المواصلات التي يربط حلبا (مركز المحافظة) بالقبيات من الناحية الشرقية، ووقوعها أيضا" على خط المواصلات (طرابلس– حمص) من الناحية الشمالية، واتصالها أيضا" بالعديد من القرى من مختلف المناطق العكارية .

(1)https//:books.openedition.org/ifpo11684/
تاريخ الزيارة الجمعة في 2023\5\27 الساعة الواحدة والنصف صباحا .

د- تطور وسائل النقل وأدوات البناء والإنتاج وارتفاع أسعار الأراضي في المناطق المحاذية لمركز المحافظة .

هـ- وجود بعض الدراسات لإنشاء منطقة صناعية في منطقة السهل الأوسط، وأوتوستراد دولي يخترق منطقة الدراسة من الناحية الجنوبية باتجاه الأراضي السورية ومن ثم بعض الدول العربية .

هذه العوامل كانت بمثابة دوافع أساسية، أدت إلى جذب المواطنين من مختلف المناطق المجاورة للسهل أو البعيدة عنه من أجل الاستثمار في مجال تجارة العقارات والبناء السكني، هذه الظاهرة العمرانية النشطة كان لها بُعدان، بُعد ايجابي وآخر سلبي، أما **البعد الإيجابي** فيتمثل بالنهضة العمرانية التي أخذت مسارا" متسارعا" وخاصة" خلال فترة التسعينيات، إذ أوجدت مساكن جديدة لأبناء المنطقة والنازحين اللبنانيين منهم والسوريين حاليا"، إضافة إلى ظهور العديد من المؤسسات التجارية والتعاونيات الاستهلاكية التي زادت نسبتها بعد سنة 2000، بسبب الزيادة السكانية والنزوح، وظهور العديد من المؤسسات الاستشفائية والتربوية من أكاديمية ومهنية وجامعات خاصة ورسمية (الجامعة اللبنانية)، هذه النهضة العمرانية سهلت على أبناء المنطقة الكثير من العناء والتعب الذي كان يلاقيه المواطن أثناء تنقله وذهابه إلى المدينة، للحصول على السلعة التي يحتاجها، وشرائه للمواد التموينية التي ينوي شراؤهم في بعض الأحيان دفعة واحدة من أجل استغلال الوقت وتوفير المال وصعوبة التنقل في تلك الأثناء .

نشير أيضا"إلى أن وجود المؤسسات التربوية المتنوعة (الخاصة والرسمية) كان لها دور كبير في استقطاب الكثير من الطلاب سواء" من داخل المنطقة أو من خارجها، الأمر الذي ساهم في إنعاش وحيوية المنطقة، وإحداث تبدل إيجابي نحو الأمام في الحركة التجارية والعمرانية، واستحداث أساليب جديدة تواكب التطور التقني الحاصل في بعض المجالات العلمية والعملية، مثل إدخال الحاسوب والبرامج التربوية الحديثة والفروع العلمية كما في الجامعة الدولية LIU وبعض المدارس والثانويات الخاصة مثل مدرسة الراهبات college saint joseph ومدرسة الجمعية الحميدية وثانوية نور الهدى التي تعتبر من الثانويات المهمة في عكار والشمال .

ما **البعد السلبي** فيتمثل أولا" بقضم مساحات واسعة من الأراضي المزروعة بسبب التوسع العمراني داخل السهل وعلى الواجهة منه، والتأثير الحاصل لا يتمثل بمساحة

الأرض التي أقيم عليها البناء، وإنما أيضا" على المساحة الملحقة به من جدران تحيط بالبناء، وشق طرقات ومخلفات البناء من بقايا أسمنت ورمال التي غطت مساحات لا بأس بها عند جوانب تلك الأبنية.

ثانيا" : يرتبط تراجع الإنتاج الزراعي بتراجع نسبة المساحات المزروعة، أو تبدل نمط الإنتاج الزراعي، فاختفاء بعض أنواع الزراعات يعود سببه بالدرجة الأولى إلى التبدل الحاصل في نمط الزراعة المتبعة في سهل عكار، حيث نجد في منطقة الدراسة أن أغلب المزارعين قد بنوا منازلهم في ناحية معينة من عقارهم الزراعي وإلى جانبه البيوت البلاستيكية التي يمارس فيها المواطن عمله الزراعي وبأساليب انتاجية حديثة قد تعطي أكثر من موسمين خلال السنة، مستغنيا" بذلك عن الزراعات المكشوفة التي أصبحت زراعتها غير مجدية اقتصاديا" أمام حجم الإنتاج الزراعي في البيوت البلاستيكية ذات الأسلوب العلمي الحديث، والتي لا تتطلب مجهودا" جسديا" كبيرا" بخلاف الزراعة المكشوفة التي تؤثر فيها العوامل الطبيعية بدرجة أعلى وتتطلب مجهودا" مرتفعا" يتعب كاهل المزارع.

ثالثا" : إن تناقص حجم مساحة العقار الزراعي بعد قضم أجزاء مهمة منه، كان سببا" جوهريا" في تراجع العديد من الزراعات مثل زراعة القمح، الفستق والسمسم .....، التي تراجعت زراعتها جدا" إلى حد الاختفاء بسبب ضيق الملكية الزراعية التي تآكلت بسبب العمران والوراثة، وضعف المردود الاقتصادي فيها أمام المردود الاقتصادي الأعلى في الزراعات البلاستيكية.

رابعا" : يعتبر التمدد العمراني فوق الأرض المزروعة عاملا" سلبيا" بالنسبة للتربة الزراعية التي تتلقى الكثير من الملوثات المنزلية، من مياه مبتذلة ذات التركيب الكيميائي ومواد صلبة ترمى عند أطراف الأراضي المزروعة والتي تتقاذفها الرياح والعوامل الطبيعية فوقها، هذه الملوثات البيئية تزيد من حموضة التربة وتراجع خصوبتها وبالتالي يضعف الإنتاج الزراعي، في هذه الحالة يلجأ المزارع إلى تخصيب التربة بالمواد الكيماوية وبعض المخصبات الضرورية وهذا ما يؤدي في كثير من الأحيان إلى حدوث تلوث للتربة والمياه الجوفية، وهذا ما سنتحدث عنه في القسم اللاحق من أثر التمدد العمراني على المياه الجوفية والسطحية .

يعطي سهل عكار أهم المنتوجات الزراعية من خضروات وبقوليات وحبوب وبعض الفواكه، مثل الحمضيات والكرمة ....، لذلك فإنه من الواجب الوطني والديني والأخلاقي حماية هذا المعلم الطبيعي من هذه الملوثات، التي أصبحت تزداد بوتيرة مرتفعة مع ازدياد نسبة السكان والتطور الصناعي والتقني، وزيادة المخلفات بأنواعها المتعددة من صلبة وسائلة وتأثيرها على البيئة وخصوصا" التربة، التي نشأت وتشكلت خلال مئات آلاف السنين، وفقدانها أو حدوث خلل طبيعي أو بيولوجي فيها، يعني القضاء على البيئة والحياة الطبيعية بشكل عام .

الخاتمة

يعد سهل عكار امتدادا" طبيعيا" للسهل السوري العكاري الذي يقابله من الناحية الشرقية، يفصل بينهما (بين سهل عكار اللبناني وسهل عكار السوري) النهر الكبير الذي يرسم بمجراه الحدود الطبيعية بين لبنان وسورية، يتميز هذا السهل باتساعه وقلة انحداره وبتربته الفيضية الخصبة، التي تشكلت منذ آلاف السنين .

يتعرض سهل عكار للعديد من الانتهاكات البشرية، حيث أصبحت هذه الانتهاكات متنامية وظاهرة للعيان، وقد تمكنتُ من خلال هذه الدراسة الميدانية، من تبيان بعض المشكلات الضارة بالحياة الزراعية، فالتمدد العمراني النشط التي تشهده منطقة الدراسة هو مؤشر خطر جدا" على تآكل الأراضي الزراعية.

تحتاج منطقة الدراسة إلى وضع تخطيط ملائم لحل المشكلات التي تعانيها، فشيوع ظاهرة المباني العشوائية وغير المرخصة – وخاصة من الناحية الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية للسهل – وافتقار المنطقة إلى وجود البنية التحتية وعدم التنظيم والتنسيق في المباني وتراجع المساحات المزروعة، كلها مؤشرات سلبية تحتاج إلى وضع حلول جذرية من قبل الجهات الحكومية لوضع حد لتنامي هذه المشكلات، ومعالجتها قبل أن تصبح واقعا" مريرا" يندم عليه كل اللبنانيين .

من هنا يأتي دور الجغرافيين والمهتمين والقائمين على الشأن العام لدراسة الأشكال المناسبة للتخطيط، أو التغير الاجتماعي والديمغرافي، وربط وتفسير المعلومات الجغرافية بالقضايا البيئية وتفهم مشكلات هذا النمط الجديد من أنماط جغرافية العمران .

المراجع :

البحث هو دراسة ميدانية تم الاعتماد على معلوماته ومؤشراته من خلال :

1 – نتائج الاستمارة التي نفذت في منطقة البحث .

2 – المقابلات الشخصية مع مخاتير ورؤساء بلديات وشخصيات وأرباب أسر .

3 – المعاينة الميدانية .

4 – فاعور، غالب – فرداي، إريك – حمزه، معين : أطلس لبان تحديات جديدة، صفحة 54 –55 .

5 – https//:iasj.net/iasj/article32675/

6 – https//:books.openedition.org/ifpo11684/